من شعراء القرن التاسع عشر

الشيخ كاظم البشير بالعجان الحلي

بقلم : الاستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي

أخ الشيخ جواد المتقدم ذكره وهو أحد الذين عاصرناهم ممن ادركتهم (حرفة الادب) ترعرع في احضان فطرة الأدب الحلية التي ارتضع درّها الكثيرون من امثاله ونشأ في حجر أبيه [الشيخ عبد علي] وكان والده هذا يتعاطى بيع (التبغ) في حانوت له تختلف اليه الادباء والافاضل فكأنه دائما ندوة ادب أو حلقة تدريس وابنه الشيخ كاظم — صاحب الترجمة — يصغي لمذاكرتهم ويستمع لمحاوراتهم فحصل من تلك الينابيع الفياضة والكنوز الثمينة على ثروة ادبية غزيرة ولما توفي أبوه وهاجر اخوه الجواد الى النجف بقي هو في الحلة التي يرثى يومئذ لحال ذوي الثروة واولي الملك والعقار من اهلها ذلك لانقطاع مياهها وكساد اسواقها وتفرّق سكانها فكيف اذا حال من سدت بوجهه ابواب الرزق وضاقت عليه سبل العيش كشاعرنا المسكين . فلا غرو اذا الجأته الضرورة — بتوسط بعض الاشراف طبعاً — الى الاندماج مع العمال العجانين في « معمل الخبز » بالثكنة العسكرية العثمانية ، ويسمى بالتركية [اكمك خانه] براتب يومي لا يزيد على خمس غروش عثمانية ومن ثم حاز هذا الاديب لقب [عجان] حتى كانت سنة ١٣٢٨ هـ أمر ناظم باشا بجلب القوات العثمانية من كافة الوية العراق وحشدها في مركز ولايته بغداد ارهابا للقبائل فخلت الحلة من الجيوش وتعطل ذلك المعمل الذي كان شاعرنا أحد عماله ردحا من الزمن فانقطعت بذلك مادة معيشته واشتدت عليه وطأة الدهر فاضطر لمزاولة المهن التي ليس لها شأن كا (لخرازية) التي يدعي من يتعاطاها اليوم بالفارسية [خرده فروش] فكان يجلس وسط السوق أو يحاز الى أحد حوانيته المهجورة وبين يديه تلك البضاعة المزجاة التي اذا قدّرتها [يشهد الله] لم تجاوز مجموع ثمنها

[١٥٠] فلسا على التحقيق واذا كان هذا رأس المال الذي كان يملكه هذا الأديب البائس فما ظنك بالربح والنفع — اذاً — فلست تراه على الدوام إلا شاحب اللون رثّ الثياب هادئ الصوت قد علت وجهه الصفرة وكسا عقاله [كوفيته] غبار الفقر والفاقة ناقماً على الحياة ساخطا على الدنيا ومن فيها ولنعم ما اعرب عن نفسه بقوله من قصيدة يخاطب بها أحد الأكابر :

يا بحر جود عجب امرة ... وكم يرى في البحر امر عجيب
من لأديب خانه دهره ... وهل يخون الدهر إلا الاديب

وله من غيرها :

يا جنة من شذاها ... جنا الجنان تعطرّ
قد اورق اليوم فيه ... روح الرجاء وأثمر
قد سبح الجود لما ... رآك والمجد كبّر
صام الرجاء ولكن ... على أياديك أفطر
اشكو اليك زماناً ... معروفه صار منكر
أراه يسلم طوراً ... وتارة ينتصر
فلم يدع لي عماداً ... إلاّ وفيه تعثّر
عليّ بالفضل جودوا ... أو فاقرأوا ما تيسر
فيا عجوز رجائي ... ان ابنك اليوم زمر

وكان شديد الاتصال بالمرحوم الشيخ محمد الملا الحلي كثير الملازمة له ، ومن ذلك تراه في شعره يقتفي اثره وكأنه تخرج عليه تحرّي الألفاظ البديعية والمحسنات الشعرية رقيق الاسلوب حسن التركيب كثير الهزل والمجون ، وكان يحذو غالباً في مجونه بشعره حذو الحسين بن الحجاج النيلي واليك نموذجا من شعره هذه القصيدة التي كتب بها الى أحد الأكابر عند حلول شهر رمضان ١٣٢٩ هـ يشكو فيها جود أيامه وقلة ذات يده جمع فيها بين الهزل والجد وهي لا تخلو من بعض الاصطلاحات العامية والكلمات الدخيلة :

الله اكبر جاءنا رمضان ... لما تولى راحلا شعبان
شهر به الرحمن يطلق رحمة ... للصائمين ويحبس الشيطان
سنت سكاكين الكباب أولو الغنى ... وتحزبت لعروقها الجيران
شرت الرجال لصومها ما يقتضي ... وهلمّ ماذا تصنع النسوان
أو فيه يأكل باقل (بقلاوة) ... وبه يحن لخبزة سحبان
ولبعضنا يضعون لونا واحداً ... ولآخرين تقدم الألوان

هذي المصائب لا حساب لها وقد ... ضاع الحساب وضرط الوزان

عجباً لأكمكخانة الفيحامضت ... وتسربت الخباز و (المجان)

أيروق عيش للفقير وما له ... دار ولا شاط ولا بستان

فكأنما الفقراء جند حاشد ... وكأنني ما بينهم سلطان

بالأمس همدان وغلك عسكري ... واليوم لا غلك ولا همدان

فكان هذا اليوم يوم قيامة ... لم ينج إلا نفسه الانسان

اغدو بدهري استغيث من الأذى ... وكأن دهري ماله آذان

دهر به الوزغ استطال وقد غدى ... من ضره يتقاصر الثعبان

وعليَّ ان جارت بلادي ضحوة ... لا (طاقها) يجدي ولا [جبران] (١)

بلد بها يروى البليد ولم يكن ... يشكو انظما وليدها ظمآن

مالي اروح واغتدي فيها ولا ... عندي مكان لا ولا امكان

فكأنني من غير حظ مركب ... في لجّ بحر ماله [قبطان]

اليوم بوري يا بقايا سلعتي ... لا المشتري عندي ولا الميزان

لله داري لم يكن فيها سوى ... بيت ولكن ماله ايوان

اسمى بغنيّ بقيها اذ صفقت ... فار السقوف وترقص الجرذان

لم أرج إلا نصرة الباري اذا ... خذل الصديق وخانت الاخوان

بل فاز من تحذ الحبيب وآله ... حونا له ان قلتّ الأعوان

لا يعظم الجودي سفينة وفده ... مها يفض من جوده طوفان

فالكف منه كوثر وعراص مغناه المقدس للوفود جنان

فيه مقدسة غدت فكأنما ... هي كعبة وحجيجها الضيفان

ملك على العلياء اسس داره ... تالله من كسرى وما الايوان

قد جاوز الجوزاء بالهمم التي ... لا زال يحسد شأوها كيوان

حرصاب مقاصدي سهلت به ... وهزال آمالي لديه سمان

هرم لعمري أين من علیائه ... أم أين من عليا ابيه سنان

حيث المكارم في الحبيب وزهطه ... قرت فمن معن ومن شيبان

إني لآلة الاعتماء اني خائف ... واسواك ما للخائفين امان

فلأنت روح والندى جثمانها ... وبغير روح لم يعش جثمان

ولقد دوى ذرع الرجا ما آن أن ... يسقيه غيث نوالك الهتان

يا من له الاحسان حب والندى ... انت الحبيب وانني حسان

مولاي ترضى ان اعيش مكابداً ... كرباً يزول لهوله ثهلان

كن لي طبيباً انني في علة ... لا يستطيع شفاؤها لقمان

(١) الطاق وجبران محلتان في الحلة .

مزدوجات

روائع وخواطر

للعلامة السيد عباس شبر

نظر بآفاق السما تدبره ... يغنيك عن نظر بالف كتاب

وبحكمة الخلاق فكرة ساعة ... حقاً تفوق عبادة الاحقاب

***

مرض الدين يا اساة ولولا ... الجهل ما أوغل السقام بجسمه

جهل البعض داره حين داوا ... ه وذو الجهل يقتل الدين باسمه

***

قال ان الزمان أرهق نفسي ... وتمادى عليَّ بالعدوان

قلت صبراً فللردى منجنيق ... يقذف النفس ما وراء الزمان

***

لله خال فوق وجنتها ... يردي العفاف ويقتل النسكا

طبع الجمال بديع خاتمه ... فيه وكان ختامه مسكا

عباس شبر

وله في وصف دار :

يا لدار حوت البحر الذي ... بندى كفيه قد فاق البحارا

فاز من جاور علياها فقد ... ودّ أن يغدو لها العيوق جارا

قد ذكا نشر شذاها فحكى ... نفحات الند طيباً وانتشارا

لم يزرها الدهر إلا خالها ... جنة سكانها لم تلق نارا

أين منها قصر كسرى اذ مت ... رفعة بل أين منها دار دارا

جاءت الدنيا لها زائرة ... فلتكن لملاء الاعلى مزارا

فهي كالكعبة ان طفت بها ... فانحرن هدي الاسى وارم الجمارا

نعم بتلك الحلة الاثيمة التي وصفها في قصيدته التي تركته في الحلة وعليها فارقته وفارقتها سنة ١٣٣٥ هـ أي بعد واقعة [عاكف] المشومة الى ان سمعت — وانا في النجف — نبأ وفاته سنة ١٣٥٠ هـ وقد قارب عمره الستين رحمه الله .

النجف

محمد علي اليعقوبي